

كل كلمة كان الشيخ يلقبها غير ان فريد وكان لم يعتد على ترويض فكره على مثل هذه المباحث قد استفزته الفرح وأخذ يقبل نجيباً شاكراً له استصحابه معه وتقديمه الى الشيخ ثم قام الى الشيخ يصفحه مظهراً له اغتباطه بما سمع منه راجياً أن يسمح له بالعودة اليه ثانياً فأجاب الشيخ اذا كانت هذه المسائل مما تروح اليها وتعرف من نفسك القدرة على فهمها فعلى الرحب والسعة والآن فالى الملتقى بالغد

— الفصل الخامس —

(العوامل المساعدة على التكوين هي نفسها)

(المساعدة على التحويل في ظروف أخرى)

ذهب الشيخ في حال سبيله كالمعتاد وقفل صاحبانا نجيب وفريد راجعين الى المدينة يتحادثان بما سمعاه ويضربان الامثال ويقمان الشواهد ويطبقانها على الواقع وقد انفتح أمامهما باب واسع من هذا المبحث ولاغرو فحياة كل واحد منهما في جميع مظاهرها ودقائقها وما عايناه وعانيساه هي مصداق لقول الشيخ

وفي اليوم التالي حضر الجميع في الميعاد وبعد التحية والسلام ومبادلة بعض الحديث قال نجيب للشيخ عسى شيخنا أن يمن عليّ بما طلبت ايضاحه البارحة فاني قضيت ثلاثة ارباع الليلة قلقا افكر في هذا لملي اجد له حلا تروح اليه نفسي ولكن فهمي عجز عن أرشادي الى ما يقنعني لما بدا لي من بعض المتناقضات فاجابه الشيخ لييك يا صاح فيها أنا مبد لك على سؤالك من البيان ما ارجو ان يبرهن لك على حقيقة الواقع ويقنعك كل الاقناع وهم باستطراد الكلام فقاطعه فريد قائلا عفوا يا شيخ اذا قطعت عليك الحديث بسرد واقعة لها علاقة بمسئلة الالمس كما اني ارجو من صديقي نجيب ان لا يؤاخذني على هذا فاحادثة لها علاقة بفريدة وانما تعلمان الآن ما كان لهذا الاسم علي

لما تركت نجيبا بالالمس راجعا الى منزلي فظننت لحاجة كنت نسيتهما عند بعض المعارف فقصدته لاخذها وبيدنا أنا سائر اذ ابصرت بفريدة مع الشاب الذي رأيتها معه بالزورق سائرين الهويناء يتهاديان في مشيتهما كما كنت انا أسير معها من قبل فشعرت أولا بانفعال شديد لم يلبث أن تحول الى

غضب وحقده ثم الى ازدراء واحتقار ثم الى عدم مبالاة
كأن تلك العاطفة التي ثارت في أول أمس قد ماتت أو كأنها
لم تكن البتة فاقتربت منها وحييتها بكل هدوء وسكون
وعاودت السير ولكنها لم تسكد تسمع صوتي ويتقابل
النظران حتى رأيتها وقد امتنع لونها وترنحت كالسكران
ونفرت من صاحبها ونادت بسائق إحدى العربات فصعدت
إليها ولم تسمح لصاحبها بالاقتراب منها ووضعت وجهها
بين كفيها واخذت تبكي وسارت العربية بها فبهت صاحبها
من هذا المنظر كمن لم يعلم له سببا. أما أنا فقد وقفت بعيدا
أراقب ما جرى دون أن أشعر بتأثير يذكر كأن فريدة لم
تكن لدي سوى أية امرأة أو أي انسان آخر وتابعت المسير
كان لم يكن شيء مما كان وها أنا الآن اسرد عليك هذه
الحادثة وكأنها ليست لي مع فريدة بل كأنها قصة قرأتها في
بعض الكتب أو سمعتها من بعض الرواة وقلت لقد صدق
شيخنا فيما قال لقد دفعت فريدة ثمن سرورها مرارة وبكاء
وكما كانت حالي عند ما رأيتها في الزورق هكذا حالتها كانت
في العربية ففكر الشيخ هنيهة محمدا بفريد ثم تبسم كعادته

وقال لقد صدقت في استنتاجك هذا ولكن لهذه الحادثة
عندي الآن استنتاجان لابل هي برهانان ساطعان على ما قلته
الكل بالأمس وعلى ما سأقوله الآن فكأن الصدف قد ارادت
ثانية ان تساعدني على اقناعكم بما تطلبان من الايضاحات .
لقد سألتني بالأمس يا نجيب بما تعلل اسباب الانقلاب
والانحلال والتغيير اذا كانت دائماً نواميس التوازن محفوظة
والتبادل بالقسط العادل حقيقةً فاجيب بان القوى والعوامل
المكونة أو المساعدة على التكوين هي نفسها المحلة أو المساعدة
على التحويل وذلك باختلاف الظروف ولك في حادثة صديقك
فريد بالأمس برهان جلي على ذلك : احب فريد فريدة حباً
تزايد لاسباب شتى وفي ظروف مختلفة لم تصادمه حين نموه
موانع التغلب الكافي ولم يكن حب فريدة له شديداً كحبه
لها فكانت قوتها السلمية والحالة هذه متغلبة على قوته الايجابية
ولم يزل حتى تكامل اول امس حينما شاهد فريدة في الزورق
ولكن عندما رأيت يا فريد بالأمس ما رأيت طفح الكيل
وانقلبت الآية واصبح ما كان يزكى قبلا فيك نار الحب
يطفئها الان وقد قيل

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يفر بطيب العيش انسان
ان العناصر الاربعة الثانوية المكونة المتولدة عن العنصر
الاصيل الفرد هي نفسها المحولة اذا تحولت كفة الميزان
في احداها فالهواء والماء والنار والتراب التي تنبت النباتات
وتحيي موات الشجر فيورق ويعطي ثمرة وتقوي الاجسام
وتنمش القلوب وتفرح الصدور في الربيع هي نفسها التي
تيمس النباتات وتسقط الورق وتضعف الاجسام وتقبض
الصدور وكما ان الغذاء يغذي الانسان والحيوان
وينميه كذلك هو الغذاء الذي يفنيه ويميته والهواء
والحرارة اللذان يبخران الماء ويصعدانه في الجو
ضبابا هما ذاتهما اللذان يرميان به على الارض والتراب
الذي بواسطته تتكون الاجسام وتتغذى هو الذي بواسطته
تمحل وتتحول انظرا الى هذه المدينة وما فيها من المباني
الحديثة الجميلة المزخرفة وقارناها بتلك المباني القديمة الآيلة
الى السقوط تريا أن القوى والعناصر التي ساعدت على
تشيد وتكوين الجديد هي نفسها التي ساعدت على سقوط
وتخريب واضمحلال هذا القديم وقد كانت القديمة في حينها

جديدة جميلة وسوف تتحول جديدتنا الآن في حينها أيضاً
الى قديمة مخربة وهكذا الى أن تندثر تماماً معالم الجميع . أنظروا
الى السماء فوقكم وما فيها من الغيوم المختلفة الاشكال وعائنها
بعد ذلك وقد صفا أديمها ولم يبق لتلك من أثر ظاهر وانظروا
الى ما حوالىكم من البقاع والسهول والجبال تريا أن القوى
التي أعطتها شكها الحاضر هي نفسها الكفيلة بتغييرها إلى
شكل آخر أنظروا الى هذه الرياض والجنائن المخضرة المثمرة
وكيف كان حالها بالأمس وكيف يكون حالها غدا انبتتها
التراب وسقاها الغيث وأتمتها حرارة الشمس وأزهاها النسيم
ولونها النور بالوان تبهر الابصار بجمالها وسوف تحرقها
الشمس فتبيس ويذريها الريح ويفسدها الماء ويسلبها النور
ما أعطاه من زاهي الالوان ويحولها التراب اليه ويمحي منها
الأثر والعين . بل أنظروا الى أنفسكم وما طراً عليكم حتى
الآن من الانقلابات والتحولات من الطفولية الى سن
الشباب . من صحة ومرض وسمن ونحول وما سيطر أيضاً
في السنين المقبلة أن نفسياً أو جسدياً تريا أن العوامل هي
نفسها واحدة في كل الحالات فقط تغلب عامل على عامل

فحصل التغيير والانقلاب فقال نجيب ليسمح لي شيخنا أن
ألقي سؤالاً استوضحه به بعض ما ابهم علي وعلى صديقي
فهمه . فقد قلت لنا يا شيخ بمناسبة حادثة فريدة وفريد
ان الانقلاب حدث بقوة التحويل السلبي والايجابي وهي
حادثة نفيسة روحية واستطردت الكلام الى العناصر
الاربعة وتكلمت عن التحويل فيها مستنداً كما ظهر لنا على
المبدأ الاول مع ان الكلام عنها هو عن الماديات المحضه
فما دخل الروح في المادة ثم عدت فقلت أن ما طرأ وما
سيطرأ علينا من التحولات ان نفسياً أو جسدياً هو ناتج
عن نفس العوامل دون أن تميّز بين العوامل المؤثرة على
النفس والمؤثرة على المادة أو الجسد مع ان لا شبهة بين المادة
والروح فتنبه الشيخ كمن فطن الى شيء وتبسم وأجاب نعم
لقد صدقت في ملاحظتك يا صاح لأنه كان يجب علي زيادة
الايضاح في حديثي ولست أكنك لو ذكرت كلمتي عند استطراد
الكلام حيث قلت ان العناصر الاربعة الثانوية المكونة
المتولدة عن العنصر الاصيل الفرد لعلمت ان هناك صلة
اصليه بين المادة والروح وعليه أقول لك ان المادة نفسها التي

يدعونها مادة لوقوعها تحت الحواس بسبب التقلبات
والتهولات هي من العنصر الاصيل الفرد المتولدة منه
الروح ايضا في الجماد والنبات مظهران من العنصر الاصيل
الفرد اما في الاحياء فثلاثة المظاهر كما سأبين ذلك لكم
فيما بعد لذا فان ما تتأثر منه الروح يشعر به الجسم وما يتأثر
منه الجسم يعم تأثيره الروح فقال فريد والله يا شيخ ان هذا
البحث هو مما يعجز عنه فهمي الآن واعل ما وعدت به من
البيان في المستقبل يزيل عن عيني بعض الغشاوة ولقد قال شيخنا
فيما قال بمناسبة حادثي مع فريدة وكيف أن حبي لها تحول
الى بغض وحقدا واحتقار تلاه عدم مبالاة واهتمام مما فهمت
منه حسب قولك ان قوتها السلبية كانت في الاول متغلبة
على قوتي الايجابية ثم بفعل الحوادث والظروف وماشا كل
انقلاب الآية واصبحت انا المتغلب ثم ان صديقي سأل عن
حقيقة التوازن السلي والايجابي فاجبته بما يؤكده حقيقة
التوازن ثم قلت حفظك الله ان التحول يجري اذا تحولت
كفة الميزان من جهة لاخرى فبناء على ما تقدم فلا بد للتحول
من تغلب السلي على الايجابي أو الايجابي على السلي فاذا

تغلب عامل على عامل كان ثم طبعاً زيادة في هذا ونقص في
ذاك فابن التوازن مع هذا فنظر الشيخ الى فريد ملياً متأملاً
ثم بدت على وجهه علامات البشر وقال يسرني جداً منك
يا فريد أن اسمع منك مثل هذه الاسئلة مما يداني على تتبعك
للحديث بكل اهتمام وتبصر واستيعاب لذا أقول لكما ولو
خالف ظاهر قولي المعقول أنه رغم تغلب عامل على عامل
ورغم النقص في هذا والزيادة في ذلك ورجحان كفة
هذا على ذلك يبقى التوازن بين السلبى والايجابى محفوظاً
متساوياً كما سأشرح لكما هذا غداً وتريان مما تقدم ان التحول
والانقلاب هو سنة طبيعية تشمل جميع اجزاء الكون
سيان في ذلك الارض والنجوم والممالك الثلاث وهي ظاهرة
ايضاً في الانسان باجلى مظاهرها ان كان بجسمه أو بروحه
بأعماله أو أفكاره لذا فهو لا يطيب له العيش الا بالتحول
والانتقال والتغير على قدر ما به من الحياة والله در من قال .
يطلب الانسان في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا انكره
ليس يرضى المبرء شيء واحد قاتل الانسان ما أسكره
والان فاني استودعكما المولى وهو نعم الوكيل فالى الملتقى

يا صاحبي . قال هذا وهم بالابتعاد فقام اليه نجيب ووضع في يده بعض الشيء ثم حياها وشكر وسار

- الفصل السادس -

(تأثير الكائنات بعضها على بعض وتأثير الممالك الثلاث)
(بأجزائها بعضها على بعض)

بقي نجيب وفريد جالسين على مقعدهما بعد ذهاب الشيخ لأن الوقت كان متسماً أمامهما فالفد كان أحداً وهو يوم عطلة وليس عندهما من الأعمال ما يدعوها إلى الإسراع فقال فريد لنجيب أن شيخاً يصاح لهو نابغة حقيقة فقد استصغرت نفسي أمامه إلى حد الهمم مع أبي ولا أخفي عليك ما شاهدته لأول مرة لم أسره بقرش فصحيح أن من يحكم على الظواهر يخطيء ولكن ما يصعب علي فهمه أن هذا الرجل رغم معارفه الواسعة ورأسه المفكرة الملوئة بالحكمة يبقى هكذا هائماً على وجهه ينام في البراء متوسداً للبراء وملتحفاً السماء ليس له مكان يأوي إليه يتنقل بأطماره البالية من بلد إلى بلد يستعدي أكف المحسنين مع أنه وأنا